أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

محاضرة النظريات الحديثة في الديموغرافيا

تمهيد:

بعد الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا تغيّر الفكر السكاني نتيجة التحولات التي عرفتها كافة المجتمعات خاصة الغربية منها نتيجة التصنيع وبالتالي انقسم روادهالفكر السكاني إلى عدة فئات حسب النظريات التي استحدثوها وهم كالتالي:

- توماس روبرت مالتوس (Malthos).
- رواد المدخل البيولوجي ممثلين في :، دبلداي (Doublday)، سبنسر، سادلر، كورادو جيني.
- رواد المدخل الاجتماعي والاقتصادي ممثلين في: كنجزلي ديفز (K. Davis)، أرسين ديمون، إيميل دوركايم، كارل ماركس، كارسوندرز وسيدني كونتز.
- نظرية التحوّل الديموغرافي.

I. نظرية روبرت مالتوس (R . Malthos)

1. تعريف بروبرت مالتوس: ولد ببريطانيا عام 1766 من عائلة غنية ومتديّنة، كان متفوّقا في الرياضيات ودرس بجامعة كامبرج وكان اهتمامه الأول منصبا حول دراسة الاقتصاد السياسي والتاريخ، مما ألهمه نظرة ثاقبة حول مشكلات الفقر التي ظهرت نتيجة الثورة الصناعية وتكدّس الفقراء في المدن الصناعية.

ارتبط اسم مالتوس بعلم السكان إذ يصنف كأب للدراسة العلمية للظاهرة السكانية. تعدّ الدراسة التي قام بها موضوعها "رسالة في علم السكان" بمثابة ثورة لأنها جذبت انتباه العديد من المهتمين بالمسألة السكانية وانعكاساتها وكانت ذات مسحة تشاؤمية.

2. نظريته: رأى مالتوس أن كثرة النسل تؤد إلى الفقر، وقد رأى أن الانسان محكوم بقوّتين وهما الغذاء والتناسل، ولما كانت قدرة الانسان على التناسل تفوق قدرة الأرض على الانتاج وخاصة أن الأرض يحكمها قانون الغلة المتناقصة بينما الانجاب يتحدّد مع كل جيل. فالنتيجة الحتمية هي أن النسل الزائد على مقدار الغداء المتاح يولّد تنافسا على هذه الكمية المحدودة ومعنى ذلك تفشي الفقر والجوع والصراع إلخ.

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

تعتمد أساسا نظريته على أن لمساحة الأرض الزراعية حدّا يبلغ عنده الانتاج الحد الأقصى بالنسبة لما يستخدم فيها من العمل ورأس المال. بناءاً على ذلك لو زاد مقدار استخدامها عن هذا الحد لأخذ الانتاج في التناقص التدريجي ، وعلى هذا الأساس صاغ العلاقة بين السكان والموارد على النحو التالي:

- الموارد تزداد بمتتالية عددية (حسابية) ، أي 1، 2، 3، 4، 5...إلخ (أي قدرة الأرض على الاستجابة لمتطلبات الانسان من غذاء تبقى محدودة وتخضع لقانون الغلة المتناقصة).
- يزادد عدد السكان حسب متتالية هندسية أي 2، 4، 8، 16، 32...إلخ (أي عدد السكان يتضاعف في كل جيل (بعد 25 سنة) بمعنى إذا انطلقنا من 2 مليون نسمة بعد 25 سنة يصير عدد السكان أربع ملايين وبعد 25 سنة يصير ثمان ملايين وهكذا).

حسب هذا السياق اقترح مالتوس نوعين من الموانع للحد من الزيادة السكانية وهما:

- موانع أخلاقية كالعفة والرهبنة وتأخير سن الزواج.
- موانع قسرية تفرضها الطبيعة كالفقر والمجاعات، الأوبئة، الحروب، المهن الغير صحية ...أو ما يسمى بمثلث الموت عند مالتوس زواياه الثلاث ممثلة في الحروب، المجاعات، والأوبئة.

3. **نقد النظرية:** انتقدت نظرية مالتوس من عدة أوجه وهي كالآتي:

- لا يمكن تصور الزيادة السكانية ونقصان الموارد وفق المنطق الرياضي إلى ما لا نهاية (الزيادة السكانية وفق متتالية هندسية، الموارد وفق متتالية حسابية).
- أهمل التطور العلمي والتكنولوجي الذي يساهم في زيادة الانتاج وتنوعه، وكذلك الموارد الطبيعية الموجودة في باطن الأرض والمتجددة كلها عوامل مساعدة وموارد تخدم السكان رغم زيادتهم.
- لم يراعي مالتوس التطور العلمي مثلا في المجال البيولوجي الذي يبتكر وسائل تنظيم النسل.

II. رواد الفكر أو المدخل االبيولوجي

يرجعون سبب انحدار الخصوبة السكانية (القدرة على التناسل والانجاب) إلى ضعف وتناقص القدرة البيولوجية على الخصب والانجاب. كما تنظر هذه الأطر النظرية إلى خصائص المحيط (البيئة والمجتمع) كعامل أساسي في تحديد القدرة البيولوجية على الانجاب وبالتالي على مستوى خصوبة المجتمع. ومن أهم المفكرين الذين تناولوا هذا الاتجاه البيولوجي:

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

3. دبلداي (1853) Doublday: اعتبر أن للغذاء دور في تناقص القدرة البيولوجية على الإنجاب، وقال أنه عندما تمرّ الكائنات الحية بظروف صعبة فإن الطبيعة تعوّض عن هذا الخطر بزيادة قدرتها البيولوجية(بمعنى في حال نقص الغذاء تزيد القدرة على الإنجاب والعكس صحيح).

في عام 1952 ظهرت نظرية لـ"كاسترو" البرازيلي مفادها أن كمية البروتين في الغذاء تتناسب عكسيا مع القدرة البيولوجية الإنجابية للإنسان. كذلك أكّدت نظرية "فريش" Frish سنة 1980 على وجود علاقة بين كمية الشحم في جسم الإنسان والإنجاب بحيث أشارت في حال انخفاض كمية الشحم يقترن معه دائما انخفاض معدل الخصوبة لدى النساء في سن الإنجاب.

4. سبنسر: اعتبر تطور المجتمعات وتصير حينها أكثر تعقيدا وتصرف طاقاتها في المجهود الفكري يحدث خلالها انخفاض طبيعي في القدرة الإنجابية البيولوجية. اهتم "سبنسر" بدراسة المسائل السكانية من خلال التطور البيولوجي الاجتماعي وأدرجها في كتابه الذي تناول القضايا السكانية المعنون بـ"مبادئ البيولوجيا" ومن أهم أفكاره:

- الغذاء الجيّد يزيد من القدرة الانجابية وبالتالي الرخاء والغنى سيؤول حتما إلى تزايد السكان (رأيه هذا يخالف نظرية "دبلداي").
- اعتقد أن هناك تعارض بين التناسل والنضج الذاتي أي كلما فكّر الإنسان في بناء شخصيته فقد يبدل جهدا أكبر مما لايسمح له بالتوالد. يدعّم سبنسر قوله هذا مما لاحظه عند النساء المنشغلات بالمهن الفكرية واللاتي كن من الطبقات العليا فبالرغم من أنهن يمتزن بصحة جيّدة وتغذيتهن أفضل من النساء الفقيرات إلا أن نسلهن ضعيف. وقد عزا كل هذا إلى الاجهاذ والتعب الذهني وعجزهن عن الإنجاب والإرضاع ورعاية أطفالهن. وفي ضوء ذلك تنبه "سبنسر" إلى أن مشكلة السكان وتزايدها ستختفي حتما مادام الإنسان ينشُد الرقي ويبدل في سبيل ذلك جهودا كبيرة تلهيه عن تفكيره في الإنجاب.

5. سادلر (1829):يعتبر سادلر أن المجتمعات لديها آلية بيولوجية ذاتية تحدّ من تزايد عدد سكانها، أي أن الزيادة السكانية في أي مجتمع ما هي إلا عملية بيولوجية تتحكم تلقائيا بنفسها. ألّف "سادلر" سنة 1830 كتابا بهذا الخصوص تحت عنوان "قانون السكان" أشار فيه إلى أن الاختلافات على القدرة على الانجاب تتأثر بالسعادة والغنى لا بالبؤس والفقر، أي في حال الفقر يشجع الانسان على التناسل. شبّه "سادلر" المجتمع قليل العدد والذي هو في طور الانتقال بالإنسان البدائي الذي تحوّل من

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعي ثم مرحلة الزراعة حيث يرتقي في النهاية إلى أرقى سلّم الحضارة ويظهر خلالها تقسيم العمل والاتجاه نحو التخصص فيعتمد الانسان رويدا رويدا على الآلة ويصير منهمكا بالأعمال الذهنية وقد يستغني عن العمل وتنتشر وسائل الرفاهية والراحة. وفي كل مرحلة من مراحل التقدم والازدهار التي ذكرها "سادلر" ينقص عدد السكان بالتدريج إلى أن يقف عند نقطة معيّنة، يبلغ عندها أكبر عدد من السكان أقصى درجات السعادة. اعتقد "سادلر" بأن مادامت سعادة الانسان تعتمد أساسا على المادّيات فلا بد أن تتحقق بإحداث التوازن في عدد السكان (نظرة تفاؤلية).

6. كورادو جيني (Corado Gini): هو عالم اجتماع إيطالي انصب اهتمامه بدراسة التغير السكاني باعتباره مؤشرا على تطور وتغير المجتمع، له كتاب بعنوان "أثر السكان في تطور المجتمع" نشره عام 1912. اهتمت دراسته هذه بتحليل العلاقة بين التغير السكاني وتطوره خاصة من النواحي المورفولوجية أو البنائية والبيولوجية والاقتصادية والثقافية كذلك حول أثر الزيادة السكانية في حدوث أزمات اجتماعية داخل نطاق المجتمع. يمرّ المجتمع حسب "كورادو جيني" بثلاث مراحل تطورية:

- مرحلة النشأة والتكوين – مرحلة الازدهار والتقدم – مرحلة الاضمحلال والفناء.

أعتبر أن كل مرحلة لها مؤثراتها على المجتمع مت الناحية الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية.

مخطط: نظرية كورادو جيني السكانية

فسّر كورادو جيني كل مرحلة كما عرض مميزاتها حسب ملاحظاته وهي كما يلي:

أ. مرحلة النشأة والتكوين ومميزاتها:

- معدل الخصوبة مرتفع مما يؤدي إلى زيادة سكانية سريعة

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

- التباين في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية نتيجة اختفاء الفوارق الطبقية ما بين السكان لما لاحظه في المجتمعات التي تكونت عن طريق الهجرة مثل أمريكا، كندا، أستراليا حيث أخذت الزيادة السكانية تنعكس على المجتمع.

ب. مرحلة التقدم والازدهار ومميزاتها:

- نسبة الخصوبة أقل من المرحلة الأولى لأن هذا الجيل ذو الفكر الحديث أكثر حركية ويميل إلى تكوين ذاته.
- ان الطبقات الصاعدة في السلم الاجتماعي تنقص من تناسلها من أجل تحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.
- ينقص عدد السكان في هذه المرحلة نتيجة فقدانه لأصلح عناصره بسبب الهجرة والحروب والتي تقع كلها على عاتق الشباب لأنه الأكثر حماسة واندفاعا وتضحية.
- يترتب عن نقص السكان ارتفاع مستوى المعيشة نتيجة الانتعاش الاقتصادي وتعمّ الرفاهية وتتوسع المدن وتنشط الصناعة والتجارة ويصير المجتمع أكثر ديمقراطية ومتحضرا.

ت. مرحلة الفناء والاختفاء ومميزاتها:

- ينقص في المدينة الطلب على الصناعات ويزيد الاستهلاك مما يتمخض عنه أزمات.
- تزداد الخلافات بين الطبقات العمالية والطبقات العليا مما ينتج عنه صراعات.
- تلجأ الدولة إلى فرض ضرائب لحماية نفسها وتشدد الرقابة على الحياة الاقتصادية.
- يزداد حال المزارعين سوءا نتيجة نقص اليد العاملة وينتج عنه إهمال الأراضي الفلاحية وتتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

نتيجة لهذه الأوضاع يسوء حال المجتمع مما قد يُعجِّل باختفاءه وفناءه.

III. رواد الفكر الاجتماعي : من أهم مفكريه نجد "كنجزلي ديفز" K. Davis، أرسن ديمون، إيميل دوركايم.

1. كنجزلي ديفز (K. Davis): هو عالم اجتماع امريكي اهتم بموضوع السكان، له مؤلفات في علم السكان أهمها "نظرية التغيّر والاستجابة في التاريخ الديمغرافي الحديث" والتي تتضمن مايلي:

- اعترض على التفسيرات التي ترى أن التغيرات التي تخفض مستويات الخصوبة تخضع لعامل اقتصادي بحت مثل قلة الموارد أو تلك التي تعتمد على العامل الثقافي وقد رفض أيضا النظريات

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

التي حاولت تفسير التغير الاجتماعي بالاعتماد على عامل واحد. وصف التفسيرات التي تأخذ بالعامل الواحد بأنها تتجه نحو التبسيط وتهرب من التفسيرات المعقدة. ورأى أنه من أجل فهم التغيرات الحاصلة على مستويات الخصوبة يجب النظر إلى المجتمع على أنه يميل دائما نحو التوازن الاجتماعي وهذا التوازن يتعرض لمؤثرات من داخل المجتمع ذاته أو من خارجه تهدد توازنه وأحيانا تهدم هذا التوازن وبالمقابل فإن المجتمع يضمن دائما قوى اجتماعية تعمل على إعادة هذا التوازن.

- التوازن الذي قصده "دايفز" ليس هو التوازن المطروح لذى مالتوس (التوازن بين عدد السكان والموارد) قاصدا التوازن بين عدد السكان ومتطلبات البناء الاجتماعي (الموارد المخصصة للمحافظة على البناء الاجتماعي لتحقيق الأهداف السياسية والدينية والتربوية والترفيهية التي يرمي إليها المجتمع).
- في حال اختلال التوازن يميل المجتمع إلى إيجاد حلول للتكيف مع الظروف الراهنة. وقد تتحقق استجابات على مراحل كأن يلجأ المجتمع إلى تأخير سن الزواج ثم الاجهاض، تنظيم الأسرة أو التعقيم (Stérilisation).
- حاول "دايفز" تطبيق نظريته على ما حصل في الدول المتقدمة وما طرأ عليها من تحولات، فقد رأى أن السبب الحقيقي لنقصان عدد المواليد راجع للامكانيات المتاحة للأفراد من رفاهية وبالتالي زادت تكاليف التنشئة الاجتماعية كما أدت إلى زيادة الاهتمام بعنصر الكَيْف (Qualité) وليس الكَم (Quantité) في الانجاب.
- التغيرات التي طرأت على المجتمعات على مستوى الرفاهية أدت إلى ظهور استجابات سكانية متعددة من قبل الأفراد فمثلا في فرنسا استخدمت وسائل منع الحمل، وفي ارلندا تأخير الزواج وفي اليابان لجأت إلى الاجهاض ثم استخدام وسائل منع الحمل ثم التعقيم ثم الهجرة الخارجية ثم تأخير سن الزواج.

فملخص مضامين نظرية "كنجزلي دايفز" هي: أن المجتمع يميل نحو التوازن وقد يتعرض لمؤثرات داخلية أو خارجية للمجتمع، إذا اختل التوازن يجب أن يتكيف (عدد السكان مع متطلبات البناء الاجتماعي) مع ظروف المجتمع، إذا تعرض توازن المجتمع للتهديد يجد من يعيد هذا التوازن فيه إلى طبيعته الأولى.

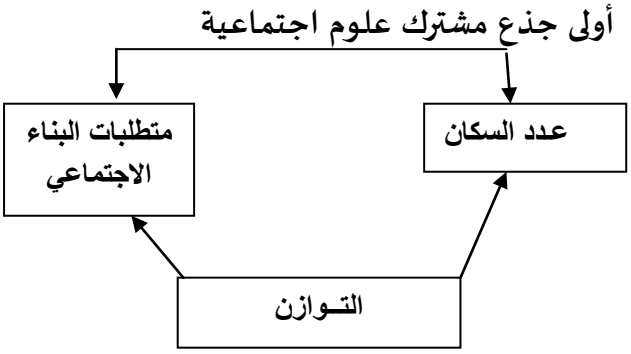

مخطط: نظرية كنجزلي دايفز السكانية

2. **نظرية أرسين ديمون A. Dumont (1840 – 1902): هو** أستاذ بجامعةستراسبورغ الفرنسية أهتم بالقضايا الاجتماعية المؤثرة في السكان، وذلك انطلاقا من الدراسة التي قام بها عن نمو السكان في أواخر القرن 19 بفرنسا، والتي ضمنها في كتابه الصادر في سنة 1890 تحت عنوان " تناقص سكان المدينة"، والذي تضمن نظريته بشأن الارتقاء الاجتماعي أو الوضع الاجتماعي.

يرى ديمون أن الإنسان عندما يحاول الترقي في بيئته الاجتماعية من طبقة دنيا إلى طبقة عليا, يفقده هذا التقدم الاجتماعي القدرة على زيادة النسل، فكلما كان المجتمع أكثر ديمقراطية ويسمح بترقي الأفراد في السلم الطبقي الاجتماعي, يجنح أفراده إلى عدم الاهتمام بالخلف وتكوين الأسر, لأن ذلك يؤخر أو يعيق طموحهم الشخصي و بالتالي يلاحظ نقص ملحوظ في نسبة المواليد.

بينما ترتفع هذه الأخيرة في المجتمعات ذات النظام الطبقي الجامد الذي لا يسمح بترقي الأفراد واندماجهم في طبقات عليا, وبالتالي فهم يتفرغون لتكوين أسرهم ويعملون على تماسكها.

والملاحظ أن هذه النظرية لا تختلف كثيرا عن نظرية سبنسر التي طورها ديمون وأضفى عليها تعديلات، إلا أنها لا تخلو من القيمة من وجهة النظر الاجتماعية رغم كونها لا تفسر بشكل كامل هبوط نسبة المواليد.

3. **نظرية إيميل دوركايم:** يذهب دوركايم إلى أن زيادة السكان في المدن تتم وفق آلية تختلف عن الآلية التي تتم بها زيادة لدى سكان القرى والأرياف، ففي هذه المناطق يزداد السكان بفعل النمو الطبيعي، بينما تتحقق زيادة السكان في المدن بفعل عامل أخر وهو الهجرة، ففي المدن يعيش السكان في شكل كتل متراصة بعضهم إلى جانب بعض، لا يحتاجون الى مساحات كما في الأرياف لا سيما في إنتاج قوتهم.

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

- ليس من الضروري أن يكون سكان المدن كبيرا ومعدل نموهم عاليا دائما، بل أن طبيعة الحياة وما تفرضه عليهم تكفي لأن يدخل الأفراد في علاقات وروابط حميمة وقوية لتسهيل عملية تبادل الأعمال والأفعال بينهم.
- أكد على أن عملية تقسيم العمل الاجتماعي تكون أكثر سهولة وأوسع نطاقا كلما أزداد عدد أفراد المجتمع مع تزداد حالات التفاعل بينهم، الأمر الذي يساعد على رفع قدرتهم في تبادل الأفعال والأعمال.

IV. رواد الفكر الاقتصادي

1. كارل ماركس: له نظرية متعلقة بالسكان في مؤلفه "رأس المال" سنة 1929. ومن أهم نظرياته السكانية التي بنا فكره على أساسها:

- يفترض أن تزايد عدد السكان يرتبط بمعدل التشغيل في النظام الاقتصادي. دعم افتراضه هذا بناءا على دراسته للنظام الرأسمالي حيث لاحظ وجود فائض في عدد السكان نتيجة لقلة معدل التشغيل وتناقص النفقات وتكدس رأس المال.
- يعتبر كارل ماركس بأن المجتمع يمر بمراحل متباينة في تغيره وفق النظام الاقتصادي والانتاج.
- يتوقع عدم وجود فائض سكاني في ظل نظام اشتراكي نتيجة التشغيل الكامل والمتوازن بين رأس المال والعمال.
- يخرج كارل ماركس بنتيجة في تحليلاته قائلاً بعدم وجود قانون عام وثابت للسكان وإنما لكل مرحلة من مراحل تطور المجتمع قانون خاص بها ينطبق عليها لوحدها.
- اعتبر البؤس والفقر مرتبطان بمشكلة تزايد عدد السكان ولا علاقة له بالعوامل البيولوجية (زيادة أو انخفاض قدرة الانجاب) بل سببهما النظام الاقتصادي المتبع والذي يعجز عن تشغيل كافة أفراد المجتمع.

2. كارسوندرز: هو باحث انجليزي، عرض دراساته السكانية في مؤلفه "سكان العالم". استنتج في أطروحاته بأن السكان في أي مجتمع إما أن يكونوا قلة أو كثرة، وقد يصلون إلى الحد الأمثل واعتبر وجود ثلاث انواع من الكثافة السكانية وهي: الكثافة الفيزيقية، والكثافة الاحصائية والكثافة الاقتصادية. إن مفهوم الكثافة (الزيادة أو النقصان في عدد السكان) عند "كارسوندرز" أمر نسبي وبهذا الصدد يقول أن الانسان يحاول دائما أن يصل بحجمه إلى العدد الأنسب وإلى مستوى معيشي لائق وذلك باستغلال

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

البيئة من جميع نواحيها البشرية والطبيعية. يخضع النمو السكاني عند "كارسوندرز" لعامل سيطرة الانسان نظرا لخضوعه هو ذاته لبيئته وتفاعله معها، وعلى هذا الأساس فإن حجم السكان يتغيّر باستمرار.

يضيف "كارسوندرز" بأنه كلما زاد التفاعل الاجتماعي بين السكان زادت خصوبتهم والعكس صحيح. كما يفترض بوجود علاقة بين حجم السكان وبين موارده من ثرواة الأرض الطبيعية والزراعية والتي يمكن الاستفادة منها. بمعنى أنه يكون حجم السكان (عددهم) كثيف إذا كانت هذه الزيادة تؤدي إلى تناقص الاستغلال المتاح من الموارد، والعكس صحيح إذا كان العدد قليل وغير قادر على إقامة مشروعات التي تستفيد من هذه الموارد وفيما إذا كان المجتمع عاجز عن توفير المنتجات التي يحتاجها هذا العدد السكاني.

3. **نظرية سيدني كونتز**: تسمى بنظرية الطلب على العمل، تأثرت هذه النظرية بأفكار ماركس في تفسير الظواهر السكانية على ظوء العوامل الاقتصادية، لكنها وسعت نطاقها إلى أنها:

- تتفق مع ماركس في الأخذ بنفس القضايا المسلمة حول تغير المجتمع وظواهره؛
- تصيغ تفسيرها الفرضي على نحو مغاير، إذ ترى ان نمو السكان إنما يتوقف على عوامل اقتصادية ثلاثة وهي: مقدار العمل المطلوب، نوع العمل المطلوب، الوظائف الاقتصادية للأسرة.

لكن على الرغم من أن **كونتز** بين أن أفكاره حول السكان في صورة تقترب من النسق الاستنباطي للنظرية التي تشتمل على مسلمات وفروض، ثم دعمها بشواهد واقعية، إلا أن هذه الأفكار انطوت على بعض الثغرات التي أثارت الملاحظات النقدية كإضافتها لعامل مهم في التفسير الماركسي لنمو السكان وهو نوع العمل وما يترتب عنه، إلا أنها تجاهلت اثر العوامل الاجتماعية الأخرى للإنجاب.

خلاصة: لقد اختلفت هذه النظريات السكانية باختلاف المدارس المعرفية التي توافق مقارباتها، إلا أن الملاحظ أنه لا توجد ثمة نظرية تشكل قانونا عاما وثابتا للسكان, فلكل عصر ولكل مجتمع قانونه السكاني الخاص به ينتج بالضرورة عن الظروف السائدة بالمجتمع. ومع ذلك فان كل منها لا يخلو من القيمة العلمية التي تكشف عن جوانب مهمة من علم دراسة السكان.

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

V. نظرية التحوّل (الانتقال) الديموغرافي:

1. مفهوم نظرية التحول ومراحلها:

يقصد بالتحول الديم وغرافي هو: الانتقال من حالة ارتفاع معدلات الخصوبة (الولادات) والوفيات إلى انخفاض معدلات الخصوبة والوفاة.

كما جاء مفهوم التحول الديموغرافي في القاموس السويسري للسياسات الاجتماعية بأنه: " نظام ديموغرافي مميز بولادات ووفيات عاليتين متبوعا بعد ذلك بانخفاض الوفيات، مما يؤدي إلى زيادة في السكان والتي لا يمكن امتصاصها إلا بالانخفاض الكافي للمواليد للحصول على توازن بين المواليد والوفيات". ويمكن تتبع تطور هذا التحول عبر أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: وفيها تفترض النظرية أن هناك توازنا في حجم السكان عند معدلات زيادة طبيعية منخفضة ناتجة عن ارتفاع معدلات الولادات والوفيات.

المرحلة الثانية: بمرور الوقت تأخذ الوفيات في الانخفاض بسبب تحسين الظروف الصحية، في حين تبقى مستويات الخصوبة مرتفعة على ما هي عليه، فيحدث انفجار ديموغرافي (ارتفاع النمو السكاني).

المرحلة الثالثة : في هذه المرحلة يحدث بداية انخفاض النمو سكاني ناجم عن بداية انخفاض معدلات المواليد واستمرار انخفاض في معدلات الوفيات، وهو ما يدفع بظهور التحوّل الديموغرافي أو الانتقال من الزيادة في النمو الديموغرافي إلى الانخفاض. (التحوّل هو الانتقال من الزيادة إلى الانخفاض)

المرحلة الرابعة : في هذه المرحلة يأخذ أفراد المجتمع في محاولة التحكم (خفض) في مستويات المواليد (استجابة لانخفاض معدلات الوفيات)، يحدث نوع من التوازن عند المستويات المنخفضة من الوفيات وانخفاض معدلات الخصوبة ، وأن هذه الفترة تستمر إلى الحد الذي تتغير فيه الظروف الاجتماعية التقليدية وكذلك الظروف الاقتصادية وتتغير السياسات التي تشجع المستويات المرتفعة من الخصوبة.

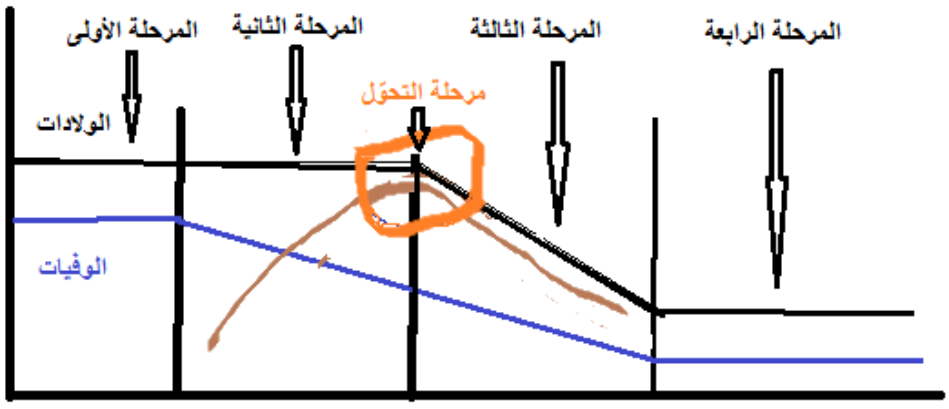

مخطط يبيّن مراحل نظرية التحوّل الديموغرافي

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

لقد قدمت هذه النظرية اقتراحا لا يمكن تجاهله، وهو أن مستويات الخصوبة والوفيات تميل إلى أن تكون مرتفعة في المجتمعات التقليدية (غير الصناعية)، ومنخفضة في المجتمعات المتقدمة (الصناعية). وبين مرحلة المجتمع التقليدي (غير الصناعي) والمجتمع الصناعي تكون هناك فترة تحول ديموجرافى وعليه فان جوهر هذه النظرية يعني:"أن التنمية هي أفضل محدد للنسل".

لقد لوحظ أن الانخفاض في معدل المواليد يقل عن الانخفاض في معدل الوفيات، مما يعني بأن عملية التحول الديمغرافي تأخذ وقتا حتى يتكيف السكان مع حقيقة أن معدلات الوفيات أقل من معدلات المواليد وانخفاض الخصوبة بصورة سريعة أمر غير ممكن في المجتمعات التي اعتادت على أن تكون معدلات المواليد فيها مرتفعة ولكي تساير معدلات الوفيات المرتفعة انخفاض معدل المواليد فان ذلك يرجع إلى انخفاض أهمية الحياة الأسرية فالحاجة إلى الأسرة الكبيرة تنبع من أن الأسرة الكبيرة تشكل بالنسبة للآباء مجمعا للعمال.

إن عملية التنمية الاقتصادية تؤدى إلى انتشار التعليم الإلزامي بهذه المجتمعات، ومن ثم تخفيض أهمية الأطفال من خلال سحبهم من سوق العمل، وهو ما ينعكس على أدراك الأفراد بأن انخفاض معدلات الوفيات للأطفال يعني ضرورة ولادة عدد أقل من الأطفال.

2. أسباب التحول الديموغرافي:

لشرح الأسباب التي تؤدى إلى التحول الديموجرافي من الناحية النظرية هناك مدخلان، فالمدخل الأول يؤكد على أن انخفاض الخصوبة يعد استجابة مباشرة لانخفاض معدلات الوفيات حيث تصل المجتمعات البشرية في النهاية إلى تحقيق التوازن بين معدلات المواليد والوفيات، فعندما تنخفض معدلات الوفيات بسبب التقدم في مجال الصحة وظروف المعيشة فان التوازن بين المواليد والوفيات يختل، وتحدث زيادة في حجم السكان ما لم تتكيف معدلات المواليد مع ظروف الوفيات الجديدة وتنخفض هي الأخرى بالتبعية.

غير أن انخفاض الخصوبة الناتج عن انخفاض الوفيات يأخذ فترة، يطلق عليها فترة التأخير، ويعتمد طول هذه الفترة على سرعة إدراك الأسر لحقيقة أن معدلات الوفيات قد انخفضت، وان عددا أكبر من أطفالهم سوف يبقون على قيد الحياة وهو ما يجعلهم يشعرون بأمان أكبر.

أما المدخل الثاني فيقوم على أساس أن التحديث يخلق قوة دافعة نحو تخفيض كل من الوفيات والمواليد، وان طول فترة التأخير في استجابة الخصوبة بالانخفاض يرجع إلى حقيقة أن سلوك الخصوبة يعد جزءا لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، مما يجعل انخفاض معدلات المواليد بصورة أكثر بطأ من انخفاض معدلات الوفيات.

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

3. عوامل التحوّل الديموغرافي:

أ. **النمو الطبيعي:** الذي هو تغير في عدد السكان ناتج من ميزان الولادات والوفيات .

* **المواليد:** تعتبر المواليد من أهم مظاهر حركة السكان في المجتمع وما قد ينتج عنها من زيادة طبيعية، وعلى هذا فالمواليد هم الأطفال الرضع الذين ينجبهم السكان في فترة زمنية معينة، وجرت الإحصائيات على إدراجهم في الإحصاء كل عام، وذلك حتى تهتم جميع حقول الدولة الاقتصادية والتخطيطية لهم ويكون هذا الاهتمام على ضوء المواليد في الماضي ومقارنته بما هو حادث في الحاضر ثم التنبؤ بما يمكن حدوثه في المستقبل.

ورغم أن الولادة حادث بيولوجي إلا أنها تعني أمورا اجتماعية واقتصادية وسياسية وتباين المجتمعات فيما بينها في نسب الولادات تبعا لظروف كل مجتمع، فهي العامل الحاسم في النمو السكاني، لهذا فإن التأثير على النمو السكاني لا يتم إلا من خلال التأثير على الولادات في المقام الأول.

* **الوفيات:** تعتبر الوفيات الظاهرة الديموغرافية الثانية من حيث أهميتها بعد ظاهرة الخصوبة، وهي تؤثر تأثيرا كبيرا على كافة جوانب الحياة في المجتمع وعلى التركيب العمري والنوعي للسكان، ويعد خفض مستوى الوفيات مطلبا عاما وهدفا من أهداف عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كافة المجتمعات، لهذا فإن كثيرا من الباحثين يتناولون ظاهرة الوفيات بالدراسة والتحليل للوقوف على عواملها المتعددة ولمعرفة انعكاساتها على حياة المجتمع وتطوره().

ولقد كان معدل الوفيات في الماضي مرتفعا لدى شعوب العالم، فكان بذلك يقيم توازنا مع الولادات المرتفعة أيضا، وكان معدل الوفيات يتذبذب ارتفاعا وانخفاض، تبعا لمجموعة من العوامل ذات الأثر الإيجابي أو السلبي في حياة السكان، من العوامل التي كانت تؤثر إيجابا في الوفيات، نذكر المواسم الزراعية الجيدة والرخاء الاقتصادي بصورة عامة، ومن العوامل ذات الأثر السلبي، نذكر الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط والزلازل والفيضانات، انتشار الأمراض الوبائية كالطاعون والحروب، ولقد تضافرت هذه العوامل المختلفة مع انخفاض مستوى الوعي الصحي، وقلة معرفة الإنسان بأساليب الرعاية الصحية والوقاية من الأمراض ومعالجتها.

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

لقد كان من نتيجة ذلك أن ضلت الوفيات قبل القرن 18 مرتفعة عموما في دول العالم. لكنه بدءا من القرن 18 أخذت النهضة الصناعية تؤتي ثمارها، وأصبحت الإنجازات العلمية والتقنية تطبق في كل ميدان من ميادين الحياة بما فيها الجانب الصحي، وتحسن إمداد الغذاء وأساليب الوقاية وطرق العلاج وتحسن الخبرة والمعرفة في مجال إجراء العمليات الجراحية المختلفة، لهذا انخفض مستوى الوفيات في الدول المقدمة لتليها في ذلك الدول النامية.

* **الزيادة الطبيعية:** هي الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات، كما يؤثر فيها عاملي الزواج والطلاق، فالمجتمعات التي بها الزواج المبكر وتعدد الزوجات تكون نسبة الولادات بنها عالية، وعلى العكس من ذلك في حالات الطلاق وتأخر سن الزواج.

***حركة السكان الطبيعية:** ويقصد بها التغير في عدد السكان عبر الزمن، وفقا للعوامل الديم وغرافية من ولادات ووفيات وزواج أو طلاق.

ب. **العوامل الغير طبيعة:** تتمثل في الهجرة، حيث تعمد الدول التي بها نسبة كبيرة من الشيوخ وعزوف عن الزواج والانجاب (الدول الغربية) إلى تعويض هذا النقص في الفئة النشطة بسن قوانين تساهم برفع معدلات النمو الديموغرافي عن طريق الهجرة الوافدة.

4. أشكال التحول الديمغرافي: قسم جون كلود شيسني التحول الديمغرافي إلى ثلاث أشكال كالآتي:

أ. **النوع الأول (البلدان المتقدمة):** يتميز بمعدل نمو الطبيعي أقل من 2% وانتقال ديمغرافي طويل جدا من 75 حتى 200 سنة، وتنقسم هذه الدول بدورها إلى ثلاث نماذج هي:

- **النموذج الشمالي:** يكون فيه الانتقال طويل جدا 150 سنة أو نمو أقصى ما بين 1870 و1880.
- **النموذج الغربي:** فيه الانتقال طويل (100 سنة) مع نمو أقصى حوالي سنوات 1900.
- **النموذج الجنوبي:** فيه الانتقال أقل طولا، مع نمو أقصى ما بعد سنوات 1900، في الذروة أحيانا.

ب. **النوع الثاني:** وتختص به البلدان ذات الاستقطاب الكبير للهاجرين كالولايات المتحدة الأمريكية، كندا، استراليا، الأرجنتين، الأرغواي.

ج. **النوع الثالث** (البلدان السائرة في طريق النمو): تتصف هذه البلدان بالقمة الثابتة في النمو الأفقي دائما من 2%سنويا، ومدة الانتقال قصيرة نسبيا (60 – 80 سنة).

5. التحول الديموغرافي في العالم العربي وفي الجزائر:

تشير إسقاطات الأمم المتحدة (الاحتمال المعدل) إلى انخفاض هذه المعدلات بوتيرة أسرع في البلدان التي تقدمت فيها عملية التحول الديموغرافي ، ففي البلدان التي لا تزال في مرحلة أولية من انخفاض معدل الخصوبة (كاليمن) سيظل معدل الزيادة الطبيعية مستقراً خلال الفترة 2000 – 2020م ، ثم ينخفض ببطء ليصل إلى 2.2 % خلال الفترة 2020 – 2040م ، ويبقى أمامه مسافة طويلة لاستقرار الوضع الديموغرافي . وينخفض نمط هذا الانخفاض في البلدان التي تقدمت في مراحل انخفاض معدل الخصوبة (كتونس ولبنان) ، حيث ينخفض معدل الزيادة الطبيعية تدريجياً ليصل إلى صفر في نهاية النصف الأول من القرن الـ21 وهي حالة الاستقرار التام للوضع إلى أقل من 1 % خلال الفترة 2020 – 2052م في معظم البلدان التي تقدمت فيها عملية التحول الديموغرافي (كالإمارات العربية المتحدة والبحرين وتونس والجزائر وقطر والمغرب) بينما تتجاوز 2 % في موريتانيا واليمن . ولعل من أهم نتائج التحول الديموغرافي ارتفاع نسبة السكان في سن العمل (15 – 59 سنة) ونسبة المسنين ، وانخفاض نسبة الأطفال أقل من 15 سنة . وسيبقى لفئة الشباب حيز هام في جميع البلدان العربية ، وستشهد غالبيتها فترة رفاه من الناحية الديموغرافية ، حيث ستبقى نسبة السكان في سن العمل مرتفعة حتى عام 2020م أو ما بعده وفقاً لخصوصية كل بلد . وتعد النافذة الديموغرافية من المظاهر الايجابية في عملية التحول الديموغرافي ، إذ يمكن استثمارها في تحسين إنتاجية العمل ووضع برامج تعني بالتكافل بين الأجيال ، كما يمكن الاستفادة منها في تدعيم برامج التأمينات الاجتماعية ، لان عدد السكان الذين ينتمون إلى القوى العاملة في هذه المرحلة يفوق عدد السكان خارجها . ويمكن أن تسمح هذه الفترة من الرفاه الديموغرافي بخلق العديد من الفرص للاستثمار في المنطقة العربية ولاستغلال مواردها الطبيعية والبشرية على النحو الأمثل ، من حيث إتاحة التعليم والمعرفة بالتقنيات الحديثة ، المشاركة في النشاط الاقتصادي لكل الفئات .

في الجزائر مر التحول الديموغرافي بثلاثة مراحل وهي كالآتي:

أ. **المرحلة الأولى [1900–1945]:(النظام الديمغرافي الطبيعي أو البدائي):** تميزت التركيبة السكانية أثناء الاستعمار بمستوى مرتفع للوفيات وارتفاع الولادات بسبب عدم وجود وسائل منع

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

الحمل وهذه الوضعية سميت من طرف المنظرين للتحول الديمغرافي بالنظام البدائي،حيث أن عدم وجود الآفات والكوارث التي تؤدي إلى وفيات استثنائية فان معدل الوفيات الخام يتراوح ما بين 30-35 ‰ ومعدل الولادات الناجمة عن ظروف غير صحية يتراوح ما بين 35-40 ‰ كلتا الحالتين تؤدي إلى نمو سنوي يقدر حوالي 0.5 % أو اقل من ذلك ، وعليه يمكن تشبيه هذه المرحلة إلى ما تم ذكره في اعلاه().ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى طورين وهما:

- **الطور الأول [1900-1920]:**يتميز هذا الطور بمعدل زيادة طبيعية يتراوح ما بين 0.5 % و 0.45 % ،حيث تتميز معدل مواليد ووفيات مرتفعان وفي نفس المستوى تقريبا.
- **الطور الثاني [1921-1945]:**تميز هذا الطور بارتفاع معدل النمو الطبيعي من 0.5 % سنويا إلى 1% حيث أصبح هناك ارتفاع في معدل المواليد وانخفاض في معدل الوفيات، لكن أثناء الحرب العالمية الثانية شهد معدل الوفيات ارتفاع حيث وصل إلى 43.1% وكذلك أثناء حرب التحرير أحداث 8 ماي 1945 بالإضافة إلى تفشي مرض الكوليرا.

ب. **المرحلة الثانية [1946-1985]:**:منذ بداية هذا القرن ظل معدل المواليد محصور بين 30 و 45 ولادة لكل 1000، في حين انخفضت الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية، كذلك في هذه المرحلة تطور معدل النمو الطبيعي من 0.5 % إلى 1%سنة 1946 إلى 3.4 % سنة 1961 و3.3 % في عام 1970 هذه الزيادة كانت نتيجة ارتفاع معدل المواليد انخفاض السريع في معدل الوفيات، وتنقسم هذه المرحلة إلى طورين وهما:

- **الطور الأول [1946-1970]:** تميز هذا الطور بارتفاع معدل المواليد نتيجة للخصوبة الطبيعية حيث بلغ معدل المواليد 47 % بعد سنة 1955 بعد أن تجاوز 5 % عام 1945، أما الوفيات في هذه الفترة بالاستثناء التقلبات الدورية(1941-1965)، حيث تراوح معدل الوفيات حوالي 15 %، هذا الارتفاع في الخصوبة أدى إلى ارتفاع معدل النمو الطبيعي حيث بلغ 3 % ما بين (1961-1965).
- **الطور الثاني [1971-1985]:** يتميز معدل المواليد بحوالي 40 % ومعدل الوفيات ينخفض باستمرار لكنه ما زال يتجاوز 12‰ إلى غاية سنة 1980. أما معدل الزيادة الطبيعية قدر بحوالي 3 % (خلال الفترة 1976-1980) حيث اعتبر أعلى معدل من معدلات النمو الطبيعي

أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

في العالم، حيث أدى ارتفاع معدل النمو الطبيعي في هذه الفترة إلى تضاعف عدد السكان بين عامي 1982مقارنة بعام 1966.

ج. **المرحلة الثالثة ما بعد 1986:(تطور حركة السكان):** تميزت هذه المرحلة بانخفاض معدل المواليد والوفيات حيث بلغ معدل الوفيات 5% في الفترة (1986–1990) وتزامن مع بداية المرحلة الثالثة لنظرية التحول الديمغرافي.

تراجع معدل النمو الطبيعي منذ عام 1986 ليصل إلى مستوى 1.4 % عام 2002 ويعود سبب هذا التراجع إلى الإجراءات المختلفة في برنامج التنمية المتقدمة كالتطعيم،الوقاية، الصحة،حماية الأم والطفل وهو ما ساهم في انخفاض الوفيات وانخفاض الكبير في معدلات وفيات الرضع نتيجة التطور الصحي وتحسن في المستشفيات وارتفاع عدد الصيدليات.انتقل خلال هذه الفترة معدل وفيات الرضع من 81.24 % سنة 1984 إلى 51.1 % سنة 2000 بالإضافة إلى انخفاض معدل الوفيات الإجمالية من 6.7 % إلى 5.8 % خلال نفس الفترة.

خلاصة: وضعت نظرية التحوّل الديموغرافي على أساس المراحل التي مرت بها الدول الأوروبية في نموها الديموغرافي والتغيرات التي طرأت عليها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فجلها تعيش المرحلة الرابعة. أما الدول النامية أو السائرة في طريق النمو فجلها تعيش المرحلة الثانية أو الثالثة حسب درجة التنمية التي بها.